## سورة تبارك

١ـ **سماها النبي ﷺ (سورة تبارك الذي بيده الملك)** في حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن **سورةً من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفِر له وهي: «سورة تبارك الذي بيده الملك»**.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

**فهذا تسمية للسورة** بأول جملة وقعت فيها، فتكون تسمية بجملة كما سمي ثابت بن جابر: تأبط شراً.

ولفظ (سورة) مضاف إلى تلك الجملة المحكية.

**وسميت ـأيضاًـ (تبارك الملك)** بمجموع الكلمتين في عهد النبي ﷺ وبسمعٍ منه فيما رواه الترمذي عن ابن عباس: «أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قال له: ضربت خبائي على قبرٍ وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان ـأي دفين فيهـ يقرأ سورة «تبارك الملك» حتى ختمها، فقال رسول الله ﷺ: «**هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر**» حديث حسن غريب.

فيكون اسم السورة مجموع هذين اللفظين على طريقة عدّ الكلمات في اللفظ دون إضافة إحداهما إلى الأخرى مثل تسمية (لام الف).

ونظيره أسماء السور بالأحرف المقطعة التي في أولها على بعض الأقوال في المراد منها، وعليه فيحكى لفظ (تَبَارَكَ) بصيغة الماضي ويحكى لفظ (الْمُلْكُ) مرفوعاً كما هو في الآية؛ فيكون لفظ (سورة) مضافاً من إضافة المسمى إلى الاسم؛ لأن المقصود تعريف السورة بهاتين الكلمتين على حكاية اللفظين

الواقعين في أولها مع اختصار ما بين الكلمتين، وذلك قصداً للفرق بينها وبين (تبارك الفرقان).

كما قالوا: عبيدالله الرقيات، بإضافة مجموع (عبيدالله) إلى (الرقيات) تمييزاً لعبيدالله بن قيس العامري[١] الشاعر عن غيره ممن يشبه اسمُه اسمَه مثل عبيدالله ابن عبدالله بن عتبة بن مسعود، أو لمجرد اشتهاره بالتشبيب في نساء كان اسم كل واحدة منهن رقية[٢] وهن ثلاث.

ولذلك يجب أن يكون لفظ (تَبَارَكَ) في هذا المركب مفتوح الآخر، ولفظ (الْمُلْكُ) مضموم الكاف، وكذلك وقع ضَبْطُه في نسخة جامع الترمذي وكلتاهما حركةُ حكايةٍ.

والشائع في كتب السنة وكتب التفسير وفي أكثر المصاحف تسمية هذه السورة سورة الملك، وكذلك ترجمها الترمذي: «باب ما جاء في فضل سورة الملك».

وكذلك عنونها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه.

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: «كنا نسميها على عهد رسول الله المانعة».

أي أخذاً من وصف النبيﷺ إياها بأنها المانعة المنجية -كما في حديث الترمذي المذكور آنفاً- وليس بالصريح في التسمية.

وفي الإتقان عن تاريخ ابن عساكر من حديث أنس: «أن رسول اللهﷺ

---

١- هو من بني عامر بن لؤي شاعر مجيد من شعراء العصر الأموي.

٢- هي رقية بنت عبدالواحد بن أبي سعد من بني عامر بن لؤي، وابنة عم لها يقال لها: رقية، ورقية أخرى امرأة من بني أمية، وكن في عصر واحد.

سماها المنجية».

ولعل ذلك من وصفه إياها بالمنجية في حديث الترمذي وليس -أيضاً- بالصريح في أنه اسم.

وفي الإتقان عن كتاب جمال القراء تسمى -أيضاً- (الواقية) وتسمى (المنَّاعة) بصيغة المبالغة.

وذكر الفخر: أن ابن عباس كان يسميها (المُجادِلة) لأنها تجادل عن قارئها عند سؤال الملكين، ولم أره لغير الفخر.

**فهذه ثمانية أسماء سميت بها هذه السورة.**

**وهي مكية** قال ابن عطية والقرطبي: باتفاق الجميع.

وفي الإتقان أخرج جويبر[١] في تفسيره: «عن الضحاك عن ابن عباس نزلت تبارك الملك في أهل مكة إلا ثلاث آيات» اهـ.

فيحتمل أن الضحاك عنى استثناء ثلاث آيات نزلت في المدينة.

وهذا الاحتمال هو الذي يقتضيه إخراج صاحب الإتقان هذا النقل في عداد السور المختلف في بعض آياتها.

ويحتمل أن يريد أن ثلاث آيات منها غير مخاطب بها أهل مكة، وعلى كلا الاحتمالين فهو لم يعين هذه الآيات الثلاث، وليس في آيات السورة ثلاث آيات

---

١- كتب في نسخة مخطوطة جويبر بصيغة تصغير جابر، والذي في المطبوعة جبير بصيغة تصغير جبر ترجمه في طبقات المفسرين في اسم جبير بن غالب يكنى أبا فراس كان فقيهاً شاعراً خطيباً فصيحاً، له كتاب أحكام القرآن، وكتاب السنن والأحكام، والجامع الكبير في الفقه، وله رسالة كتب بها إلى مالك ابن أنس، ذكره ابن النديم، وعدّه من الشّراة من الخوارج.

لا تتعلق بالمشركين خاصة، بل نجد الخمس الآيات الأوائل يجوز أن يكون القصد منها الفريقين من أول السورة إلى قوله: ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾.

وقال في الإتقان -أيضاً- : «فيها قول غريب (لم يعْزه) أن جميع السورة مدني».

**وهي السادسة والسبعون في عداد نزول السور**، نزلت بعد سورة المؤمنين وقبل سورة الحاقة.

**وآيها** في عد أهل الحجاز إحدى وثلاثون وفي عد غيرهم ثلاثون. ٢٩/٥-٧

٢- **أغراضُ السورة**: والأغراضُ التي في هذه السورة جاريةٌ على سنن الأغراض في السور المكية.

ابتدأت بتعريف المؤمنين معانيَ من العلم بعظمة الله -تعالى- وتفرده بالمُلْكِ الحقِّ، والنظرِ في إتقان صنعه الدال على تفرده بالإلهية؛ فبذلك يكون في تلك الآيات حظٌّ لِعِظَةِ المشركين.

ومن ذلك التذكيرُ بأنه أقام نظامَ الموتِ والحياة؛ لتظهر في الحالين مجاريْ أعمالِ العِبَاد في ميادينِ السبق إلى أحسنِ الأعمال ونتائجِ مجاريها، وأنه الذي يجازي عليها.

وانفرادُه بخلق العوالم العليا خلقاً بالغاً غايةَ الإتقان فيما تراد له.

وأتبعه بالأمرِ بالنظر في ذلك، وبالإرشاد إلى دلائله الإجمالية، وتلك دلائل على انفراده بالإلهية مُتَخَلِّصاً من ذلك إلى تحذير الناس من كيد الشياطين، والارتباقِ معهم في ربقة عذاب جهنم، وأن في اتباع الرسولﷺ نجاةً من ذلك، وفي تكذيبه الخسرانَ، وتنبيهُ المعاندين للرسولﷺ إلى علم الله بما يحوكونه

للرسول ظاهراً وخُفْيَةً بأن علمَ اللهِ محيطٌ بمخلوقاته.

والتذكيرُ بِمِنَّةِ خلقِ العالم الأرضي، ودقَّةِ نظامه، وملاءمته لحياة الناس، وفيها سعيُهم ومنها رزقهم.

والموعظةُ بأن اللهَ قادرٌ على إفساد ذلك النظام، فيصبح الناس في كرب وعناء؛ ليتذكروا قيمةَ النعم بتصور زوالها.

وضَربَ لهم مثلاً في لطفه -تعالى- بهم بلطفه بالطير في طيرانها.

وأيَّسهم من التوكل على نصرة الأصنام، أو على أن ترزقهم رزقاً.

وفظَّع لهم حالةَ الضلال التي ورَّطوا أنفسهم فيها.

ثم وبَّخ المشركين على كفرهم نعمةَ اللهِ -تعالى- وعلى وقاحتهم في الاستخفاف بوعيده، وأنه وشيكُ الوقوعِ بهم.

ووبَّخهم على استعجالهم موت النبيﷺ ليستريحوا من دعوته.

وأوعدهم بأنهم سيعلمون ضلالهم حين لا ينفعهم العلم، وأنذرهم بما قد يحل بهم من قحط وغيره.٢٩/٧-٨

٣- **واشتمل التذكير بعجيب خِلْقة الطيرِ** في طيرانها على ضرب من الإطناب؛ لأن الأوصاف الثلاثة المستفادة من قوله: ﴿فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ تصور صورةَ حركاتِ الطيران للسامعين؛ فتنبههم لدقائق ربما أغفلهم عن تدقيق النظر فيها نشأتهم بينها من وقت ذهول الإدراك في زمن الصبا؛ فإن المرء التونسي أو المغربي -مثلاً- إذا سافر إلى بلاد الهند أو إلى بلاد السودان، فرأى الفيلة وهو مكتمل العقل دقيقَ التمييزِ أدرك من دقائق خِلْقَةِ الفيل ما لا يدركه الرجل من أهل الهند الناشئ بين الفيلة.

وكم غفل الناس عن دقائق في المخلوقات من الحيوان والجماد ما لو تتبعوه لتجلى لهم منها ما يملأ وصفُه الصحف. ٣٧/٢٩

٤ـ وقد رأيت بعض من شاهد البحر وهو كبير، ولم يكن شاهده من قبل كيف امتلكه من العجب ما ليس لأحدٍ ممن ألفوه معشاره. ٣٨/٢٩

٥ـ **فالآية تشتمل على ثلاث استعارات تمثيلية، فقوله: ﴿يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ﴾** تشبيه لحال المشرك في تقسم أمره بين الآلهة؛ طلباً للذي ينفعه منها، الشاكِّ في انتفاعه بها ـ بحال السائر قاصداً أرضاً معينة ليس لها طريق جادة؛ فهو يتتبع بنيات الطريق الملتوية، وتلتبس عليه، ولا يوقن بالطريقة التي تبلغ إلى مقصده، فيبقى حائراً متوسماً يتعرف آثار أقدام الناس، وأخفاف الإبل؛ فيعلم بها أن الطريق مسلوكةٌ أو متروكةٌ.

وفي ضمن هذه التمثيلية تمثيلية أخرى مبنية عليها بقوله: ﴿مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ﴾ بتشبيه حال المتحير المتطلب للآثار في الأرض بحال المُكِبِّ على وجهه في شدة اقترابه من الأرض.

وقوله: ﴿مَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً﴾ تشبيه لحالِ الذي آمن برب واحد الواثقِ بنصر ربه وتأييده، وبأنه مصادف للحق ـ بحال الماشي في طريق جادةٍ واضحة لا ينظر إلا إلى اتجاه وجهه، فهو مستوٍ في سَيْره.

وقد حصل في الآية إيجاز حذف؛ إذ استُغْني عن وصف الطريق بالالتواء في التمثيل الأول لدلالة مقابلته بالاستقامة في التمثيل الثاني.

والفاء التي في صدر الجملة للتفريع على جميع ما تقدم من الدلائل والعبر من أول السورة إلى هنا، والاستفهام تقريري. ٢٩/ ٤٥ـ٤٦

٦ـ والقصر المستفاد من تعريف المسند إليه والمسند في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾ إلى آخره قصر إفراد بتنزيل المخاطبين؛ لشركهم منزلةَ مَنْ يعتقد أن الأصنام شاركت الله في الإنشاء وإعطاء الإحساس والإدراك. ٤٧/٢٩

٧ـ **والاستفهام بقولهم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾** مستعمل في التهكم؛ لأن من عادتهم أن يستهزئوا بذلك، قال ـتعالى ـ: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلْ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾. ٤٩/٢٩

٨ـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾.

ومن النوادر المتعلقة بهذه الآية ما أشار إليه في الكشاف مع ما نقل عنه في بيانه، قال: وعن بعض الشطار ـهو محمد بن زكريا الطبيب كما بينه المصنف فيما نقل عنهـ أنها ـأي هذه الآيةـ تُليت عنده، فقال: تجيء به ـأي الماءـ الفؤوس والمعاول؛ فذهب ماء عينيه.

نعوذ بالله من الجرأة على الله، وعلى آياته، والله أعلم. ٥٦/٢٩

# سورة القلم

١ـ **سميت هذه السورة** في معظم التفاسير وفي صحيح البخاري (سورة ن والقلم) على حكاية اللفظين الواقعين في أولها، أي سورة هذا اللفظ.

وترجمها الترمذي في جامعه، وبعض المفسرين سورة (ن) بالاقتصار على الحرف المفرد الذي افتتحت به مثل ما سميت سورة (ص) وسورة (ق).

وفي بعض المصاحف سميت (سورة القلم) وكذلك رأيت تسميتها في مصحف مخطوط بالخط الكوفي في القرن الخامس.

وهي مكية، قال ابن عطية: «لا خلاف في ذلك بين أهل التأويل».

وذكر القرطبي عن الماوردي: أن ابن عباس وقتادة قالا: أولها مكي، إلى قوله: ﴿عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ ومن قوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ إلى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ مدني، ومن قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ مكي، ومن قوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ مدني، ومن قوله: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخر السورة مكي.

وفي الإتقان عن السخاوي: أن المدني منها من قوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ إلى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ومن قوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فلم يجعل قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ مدنياً خلافاً لما نسبه الماوردي إلى ابن عباس.

**وهذه السورة عدها جابر بن زيد ثانية السور نزولاً**، قال: نزلت بعد سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وبعدها سورة المزمل، ثم سورة المدثر، والأصح حديث

عائشة: «**أن أول ما أنزل سورة اقرأ باسم ربك، ثم فتر الوحي، ثم نزلت سورة المدثر**».

وما في حديث جابر بن عبدالله: «أن سورة المدثر نزلت بعد فترة الوحي» يحمل على أنها نزلت بعد سورة: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ جمعاً بينه وبين حديث عائشة -رضي الله عنها-.

وفي تفسير القرطبي: أن معظم السورة نزل في الوليد بن المغيرة وأبي جهل.

**واتفق العادون على عد آيها ثنتين وخمسين.** ٢٩/٥٧-٥٨

٢- **أغراضُها:** جاء في هذه السورة الإيماءُ بالحرف الذي في أولها إلى تحدي المعاندين بالتعجيز عن الإتيان بمثل سور القرآن وهذا أول التحدي الواقع في القرآن؛ إذ ليس في سورة العلق، ولا في المزمل، ولا في المدثر إشارةٌ إلى التحدي ولا تصريح.

وفيها إشارةٌ إلى التحدي بمعجزة الأمية بقوله ﴿ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾.

وابتدئت بخطاب النبي ﷺ تأنيساً له، وتسليةً عما لقيه من أذى المشركين.

وإبطالُ مطاعن المشركين في النبي ﷺ.

وإثباتُ كمالاته في الدنيا والآخرة وهديه، وضلال معانديه، وتثبيته.

وأُكِّد ذلك بالقسم بما هو من مظاهر حكمة الله -تعالى- في تعليم الإنسان الكتابة؛ فَتَضَمَّن تشريفَ حروفِ الهجاء والكتابة، والعلم؛ لتهيئة الأمة لخلع دثارِ الأمية عنهم، وإقبالِهم على الكتابة والعلم؛ لتكون الكتابةُ والعلمُ سبباً لحفظ القرآن.

ثم أنحى على زعماء المشركين مثل أبي جهل والوليد بن المغيرة بمذَمَّات كثيرة،

وتوعدهم بعذاب الآخرة، وببلايا في الدنيا بأنْ ضَرَبَ لهم مثلاً بمن غَرَّهُمْ عِزُّهُمْ وثراؤهم؛ فأزال الله ذلك عنهم، وأباد نعمتهم.

-وقابل ذلك بحال المؤمنين المتقين، وأن الله اجتباهم بالإسلام، وأن آلهتهم لا يغنون عنهم شيئاً من العذاب في الدنيا ولا في الآخرة.

ووعظهم بأن ما هم فيه من النعمة استدراجٌ وإملاءٌ؛ جزاءَ كيدهم، وأنهم لا معذرة لهم فيما قابلوا به دعوة النبيﷺ من طغيانهم، ولا حرج عليهم في الإنصات إليها.

وأَمَرَ رسولَه ﷺ بالصبر في تبليغ الدعوة، وتلقيْ أذى قومِه، وأن لا يضجر في ذلك ضجراً عاتب الله عليه نبيه يونس ـ عليه السلام ـ.٢٩/٥٨ـ٥٩

٣ـ ﴿ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾.

ومن فوائد هذا القسم أن هذا القرآن كتاب الإسلام، وأنه سيكون مكتوباً مقروءاً بين المسلمين، ولهذا كان رسول الله ﷺ يأمر أصحابه بكتابة ما يوحى به إليه.

**وتعريف (القلم) تعريف الجنس**؛ فالقسم بالقلم لشرفه، بأنه يُكْتَبُ به القرآن، وكتبت به الكتب المقدسة، وتكتب به كتب التربية ومكارم الأخلاق والعلوم وكل ذلك مما له حظ شرف عند الله ـتعالى ـ.

وهذا يرجحه أن الله نَوَّهَ بالقلم في أول سورة نزلت من القرآن بقوله: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾. ٢٩/٦٠

٤ـ **والخلق العظيم**: هو الخلق الأكرم في نوع الأخلاق، وهو البالغ أشد الكمال المحمود في طبع الإنسان؛ لاجتماع مكارم الأخلاق في النبيﷺ فهو حُسْنُ

معامَلَتِهِ الناسَ على اختلاف الأحوال المقتضية لحسن المعاملة؛ **فالخلق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسن.** ٦٤/٢٩

٥- **واعلم أن جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين**، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجمود[١]، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت[٢]، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والمعاشرة.

والأخلاق كامنةٌ في النفس، ومظاهرُها تصرفاتٌ صاحِبها في كلامه، وطلاقة وجهه، وثباته، وحُكْمِه، وحركته وسكونه، وطعامه وشرابه، وتأديب أهله ومَنْ لنظره، وما يترتب على ذلك من حرمته عند الناس، وحسن الثناء عليه والسمعة.

وأما مظاهرها في رسول الله ﷺ ففي ذلك كله، وفي سياسيته[٣] أُمَّتَهُ، وفيما خص به من فصاحة كلامه، وجوامع كلمه. ٦٥/٢٩

٦- قال -تعالى-: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) ﴾.

---

١- هكذا في الأصل، ولعل الصواب: الجود. (م)

٢ - ولعل الصواب: وحسن السمت، وربما تكون حسن الصمت؛ لأن الصمت في وقته أحسن من الكلام في غير وقته. (م)

٣ - هكذا في الأصل، ولعل الصواب: في سياسته. (م)

والمعنى: لَنَبَذه الحوتُ أو البحرُ بالفضاء الخالي؛ لأن الحوت الذي ابتلعه من النوع الذي يرضع فراخه؛ فهو يقترب من السواحل الخالية المترامية الأطراف؛ خوفاً على نفسه وفراخه.

والمعنى: أن الله أنعم عليه بأن أنبت عليه شجرة اليقطين ـ كما في سورة الصافات ـ.

وأدمج في ذلك فضل التوبة والضراعة إلى الله، وأنه لولا توبته وضراعته إلى الله، وإنعامُ الله عليه نعمةً بعد نعمة لقذفه الحوت من بطنه ميتاً؛ فأخرجه الموج إلى الشاطئ؛ فلكان مُثْلةً للناظرين، أو حياً منبوذاً بالعراء لا يجد إسعافاً، أو لنجا بعد لأيٍ، واللهُ غاضب عليه؛ فهو مذموم عند الله مسخوط عليه.

وهي نعم كثيرة عليه؛ إذ أنقذه من هذه الورطات كلها إنقاذاً خارقاً للعادة.

وهذا المعنى طوي طياً بديعاً، وأشير إليه إشارةً بليغةً بجملة: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾. ٢٩/١٠٥ـ١٠٦

# سورة الحاقة

١ ـ **سميت (سورة الحاقة)** في عهد النبي ﷺ وروى أحمد بن حنبل أن عمر ابن الخطاب قال: «خرجت يوماً بمكة أتعرض لرسول الله قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد الحرام، فوقفت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن فقلت: هذا والله شاعر ـأي قلت في خاطري ـ فقرأ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾ قلت: كاهن، فقرأ: ﴿وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى آخر السورة، فوقع الإسلام في قلبي كل موقع».

وباسْمِ (الحاقة) عُنْونَتْ في المصاحف وكتب السنة وكتب التفسير.

وقال الفيروزأبادي في بصائر ذوي التمييز: إنها تسمى ـأيضاًـ سورة السلسلة، لقوله: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ﴾ وسماها الجعبري في منظومته في ترتيب نزول السور (الواعية) ولعله أخذه من وقوع قوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ ولم أَرَ له سلفاً في هذه التسمية.

**ووجه تسميتها** (سورة الحاقة) وقوعُ هذه الكلمة في أولها، ولم تقع في غيرها من سور القرآن.

**وهي مكية بالاتفاق**، ومقتضى الخبر المذكور عن عمر بن الخطاب أنها نزلت في السنة الخامسة قبل الهجرة؛ فإن عمر أسلم بعد هجرة المهاجرين إلى الحبشة، وكانت الهجرة إلى الحبشة سنة خمس قبل الهجرة إلى المدينة.

**وقد عدت هذه السورة السابعة والسبعين في عداد ترتيب النزول**، نزلت بعد سورة تبارك، وقبل سورة المعارج.

واتفق العادون من أهل الأمصار على عد آيها إحدى وخمسين آية.

١١١-١١٠/٢٩

٢- **أغراضُها**: اشتملت هذه السورةُ على تهويلِ يومِ القيامةِ، وتهديدِ المكذبين بوقوعه، وتذكيرِهم بما حل بالأمم التي كذبت به من عذاب في الدنيا ثم عذاب الآخرة، وتهديدِ المكذبين لرسل الله -تعالى- بالأمم التي أشركت وكذبت.

وأُدْمج في ذلك أن الله نجى المؤمنين من العذاب، وفي ذلك تذكيرٌ بنعمة الله على البشر؛ إذ أبقى نوعَهم بالإنجاء من الطوفان.

ووصفُ أهوالٍ من الجزاء، وتفاوتُ الناسِ يومئذ فيه، ووصفُ فظاعةِ حالِ العقاب على الكفر، وعلى نبذ شريعة الإسلام، والتنويه بالقرآن.

وتنزيهُ الرسولﷺ وعن أن يكون غير رسول، وتنزيهُ الله -تعالى- عن أن يقر من يَتَقَّول عليه، وتثبيت الرسولﷺ وإنذارُ المشركين بتحقيق الوعيد الذي في القرآن. ١١١/٢٩

٣- **وإيتاء الكتاب باليمين، علامة على أنه إيتاء كرامة وتبشير**، والعرب يذكرون التناول باليمين كناية عن الاهتمام بالمأخوذ، والاعتزاز به، قال الشماخ:

**إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين**

١٣٠/٢٩

٤ - **والغسلين**: بكسر الغين ما يدخل في أفواه أهل النار من المواد السائلة من الأجساد وماء النار ونحو ذلك مما يعلمه الله، فهو علم على ذلك مثل سِجِّين، وسرقين، وعرنين؛ فقيل: إنه فعلين من الغَسل؛ لأنه سال من الأبدان؛ فكأنه غُسل عنها، ولا موجب لبيان اشتقاقه. ١٤٠/٢٩

# سورة المعارج

١ـ **سميت هذه السورة** في كتب السنة، وفي صحيح البخاري، وجامع الترمذي، وفي تفسير الطبري، وابن عطية، وابن كثير (سورة سأل سائل).

وكذلك رأيتها في بعض المصاحف المخطوطة بالخط الكوفي بالقيروان في القرن الخامس.

**وسميت** في معظم المصاحف المشرقية والمغربية، وفي معظم التفاسير (سورة المعارج).

وذكر في الإتقان أنها تسمى (سورة الواقع).

وهذه الأسماء الثلاثة مقتبسة من كلمات وقعت في أولها، وأَخَصُّها بها جملةُ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ لأنها لم يرد مثلها في غيرها من سور القرآن إلا أنها غلب عليها اسم (سورة المعارج) لأنه أخف.

**وهي مكية بالاتفاق**، وشذ من ذكر أن آية ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ مدنية.

**وهي السورة الثامنة والسبعون في عداد نزول سور القرآن** عند جابر بن زيد نزلت بعد سورة الحاقة، وقبل سورة النبأ.

**وعد جمهور الأمصار** آيها أربعاً وأربعين، وعدها أهل الشام ثلاثاً وأربعين.
١٥٣ـ١٥٢/٢٩

٢ـ **أغراضها**: حوت من الأغراض تهديدَ الكافرين بعذاب يوم القيامة، وإثباتَ ذلك اليوم، ووصفَ أهواله، ووصفَ شيءٍ من جلالِ الله فيه، وتهويلَ دارِ

العذابِ وهي جهنمُ ، وذِكْرَ أسبابِ استحقاق عذابها ، ومقابلةَ ذلك بأعمال المؤمنين التي أوجبت لهم دارَ الكرامةِ ، وهي أضدادُ صفاتِ الكافرين ، وتثبيتَ النبيﷺ ، وتسليتهُ على ما يلقاه من المشركين ، ووصفَ كثيرٍ من خصال المسلمين التي بثها الإسلام فيهم ، وتحذيرَ المشركين من استئصالهم وتبديلهم بخير منهم. ١٥٣/٢٩

٣ـ **والذي استخلصته من تتبع استعمالات كلمة الهلع**: أن الهلع قلةُ إمساك النفس عند اعتراء ما يحزنها ، أو ما يسرها ، أو عند توقع ذلك ، والإشفاق منه.

**وأما الجزع** فمن آثار الهلع ، وقد فسر بعض أهل اللغة الهلع بالشَّرَه ، وبعضهم بالضَجَر ، وبعضهم بالشُّح ، وبعضهم بالجوع ، وبعضهم بالجبن عند اللقاء.

وما ذكرناه في ضبطه يجمع هذه المعاني ، ويريك أنها آثار لصفة الهلع.

ومعنى ﴿ خُلِقَ هَلُوعاً ﴾ : أن الهلع طبيعة كامنة فيه مع خَلْقِه تظهر عند ابتداء شعوره بالنافع والمضار؛ فهو من طباعه المخلوقة كغيرها من طباعه البشرية؛ إذ ليس في تعلق الحال بعاملها دلالة على قصر العامل عليها ، ولا في اتصاف صاحب الحال بالحال دلالة على أنه لا صفة له غيرها.

وقد تكون للشيء الحالةُ وضدُّها باختلاف الأزمان والدواعي ، وبذلك يستقيم تعلق النهي عن حال مع تحقق تَمَكُّن ضدِّها من المنهي؛ لأن عليه أن يروِّض نفسَه على مقاومة النقائص وإزالتها عنه.

وإذ ذكر الله الهلع هنا عقب مذمة الجمع والإيعاء ـ فقد أشعر بأن الإنسان يستطيع أن يكفَّ عن هلعه إذا تدبر في العواقب؛ فيكون في قوله: ﴿ خُلِقَ هَلُوعاً ﴾ كناية بالخَلْقِ عن تمكن ذلك الخُلُق منه ، وغلبته على نفسه.

والمعنى: أن من مقتضى تركيب الإدراك البشري أن يحدث فيه الهلع.

بيان ذلك أن تركيب المدارك البشرية رُكِّز بحكمة دقيقة تجعلها قادرة على الفعل والكف، وساعيةً إلى الملائم، ومعرضةً عن المنافر.

وجعلت فيها قوى متضادة الآثار يتصرف العقل والإدراك في استخدامها كما يجب في حدود المَقْدِرَة البدنية التي أُعطها النوع والتي أعطيها أفراد النوع، كل ذلك لِيَصْلُحَ الإنسانُ لإعمار هذا العالم الأرضي الذي جعله الله خليفة فيه؛ ليصلحه إصلاحاً يشمله، ويشمل من معه في هذا العالم؛ إعداداً لصلاحيته لإعمار عالم الخلود.

ثم جعل له إدراكاً يميز الفرق بين آثار الموجودات، وآثار أفعالها بين النافع منها والضار والذي لا نفع فيه ولا ضر.

وخلق فيه إلهاماً يحب النافع، ويكره الضار، غير أن اختلاط الوصفين في بعض الأفعال، وبعض الذوات قَدْ يُرِيْهِ الحالَ النافع منها، ولا يريه الحال الضار؛ فيبتغي ما يظنه نافعاً غير شاعر بما في مطاويه من أضرار في العاجل والآجل، أو شاعراً بذلك ولكنَّ شَغَفَه بحصول النفع العاجل يُرَجِّحُ عنده تناوله الآن؛ لعدم صبره على تركه مقدراً معاذيرَ أو حيلاً يقتحم بها ما فيه من ضر آجل.

وإن اختلاط القوى الباطنية مع حركات التفكير قد تَسْتُر عنه ضُرَّ الضار، ونفعَ النافع؛ فلا يهتدي إلى ما ينبغي سلوكُه أو تجنُبه، وقد لا تستر عنه ذلك، ولكنها تحدث فيه إيثاراً لاتباع الضار؛ لملائمة فيه ولو في وقت أو عند عارض؛ إعراضاً عن اتباع النافع؛ لكلفة في فعله، أو منافرة لوجدانه، وذلك من اشتمال تركيب قُواهُ الباعثةِ والصارفة وآلاتها التي بها تعمل، وتدفع على شيء من

التعاكس في أعمالها؛ فحدثت من هذا التركيب[1] والبديع صلاَحيةٌ للوفاء بالتدبير الصالح المنوط بعهدة الإنسان، وصلاحية لإفساد ذلك أو بعثرته.

غير أن الله جعل للإنسان عقلاً وحكمةً إنْ هو أحسن استعمالها نَخَلت صفاته، وثقَّفت من قناته، ولم يُخْلِه من دعاة إلى الخير يصفون له كيف يَرِيْضُ جامحَ نفسه، وكيف يوفق بين إدراكه وحسه، وهؤلاء هم الرسل والأنبياء والحكماء.

فإذا أخبر عن الإنسان بشدة تَلَبُّسه ببعض النقائص، وجعل ذلك في قالَب أنه جُبِل عليه- فالمقصود من ذلك: إلقاء تبعة ذلك عليه؛ لأنه فَرَّط في إراضة نفسه على ما فيها من جِبِلّة الخير، وأرخى لها العِنَان إلى غاية الشر، وفرَّط في نصائح الشرائع والحكماء.

وإذا أَسْنَد ما يأتيه الإنسانُ من الخير إلى الله -تعالى- فالمقصود: التنبيه إلى نعمة الله عليه بخلق القوة الجالبة للخير فيه، ونعمة إرشاده وإيقاظه إلى الحق، كما أشار إلى ذلك قوله -تعالى-: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ عقب قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾.

وفي هذا المجال زلت أفهام المعتزلة، وحلكت عليهم الأجواء، ففكروا وقدَّروا، وما استطاعوا مَخْلَصاً وما قَدِروا. ٢٩/١٦٧-١٦٩

---

١- هكذا في الأصل، ولعل الصواب: من هذا التركيب البديع -أي بدون واو. (م)

# سورة نوح

١ ـ **بهذا الاسم سميت** هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير، وترجمها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه بترجمة (سورة إنا أرسلنا نوحاً).

ولعل ذلك كان الشائع في كلام السلف، ولم يترجم لها الترمذي في جامعه.

**وهي مكية بالاتفاق.**

**وقد عدت الثالثة والسبعين في ترتيب نزول السور**، نزلت بعد نزول أربعين آية من سورة النحل، وقبل سورة الطور.

**وعدَّ العادون بالمدينة ومكة آيها** ثلاثين آية، وعدَّها أهلُ البصرة والشام تسعاً وعشرين آية، وعدها أهل الكوفة ثماناً وعشرين آية. ١٨٥/٢٩

٢ـ **أغراضها**: أعظمُ مقاصدِ السورةِ ضَرْبُ المثلِ للمشركين بقوم نوحٍ وهم أول المشركين الذين سلط عليهم عقاب في الدنيا، وهو أعظمُ عقابٍ أعني الطوفان، وفي ذلك تمثيلٌ لحال النبيﷺ مع قومه بحالهم.

وفيها تفصيلٌ كثيرٌ من دعوة نوح ـ عليه السلام ـ إلى توحيد الله ونبذِ عبادة الأصنام، وإنذارِه قومَهُ بعذاب أليم، واستدلالِه لهم ببدائع صنع الله ـتعالى ـ وتذكيرِهم بيوم البعث، وتصميمِ قومه على عصيانه، وعلى تصلُّبهم في شركهم، وتسميةِ الأصنامِ التي كانوا يعبدونها، ودعوةِ نوحٍ على قومه بالاستئصال.

وأشارت إلى الطوفانِ، ودعاءِ نوحٍ بالمغفرة له وللمؤمنين، وبالتبار للكافرين كلهم.

وتخلل ذلك إدماجُ وعدِ المطيعين بسعةِ الأرزاق، وإكثارِ النسل، ونعيمِ الجنة. ١٨٥/٢٩ـ١٨٦

# سورة الجن

١ـ **سميت** في كتب التفسير وفي المصاحف التي رأيناها ومنها الكوفي المكتوب بالقيروان في القرن الخامس (سورة الجن).

وكذلك ترجمها الترمذي في كتاب التفسير من جامعه، وترجمها البخاري في كتاب التفسير (سورة قل أوحي إلي).

واشتهرت على ألسنة المُكتِّبين والمتعلمين في الكتاتيب القرآنية باسم (قل أوحي).

ولم يذكرها في الإتقان في عداد السور التي لها أكثر من اسم، ووجه التسميتين ظاهر.

**وهي مكية بالاتفاق.**

ويظهر أنها نزلت في حدود سنة عشر من البعثة؛ ففي الصحيحين وجامع الترمذي من حديث ابن عباس أنه قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، وأنه استمع فريق من الجن إلى قراءته فرجعوا إلى طائفتهم فقالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ﴾ وأنزل الله على نبيه: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ ﴾.

وذكر ابن إسحاق أن نزول هذه السورة كان بعد سفر رسول الله ﷺ إلى الطائف يطلب النصرة من ثقيف، أي وذلك يكون في سنة عشر بعد البعثة وسنة ثلاث قبل الهجرة.

**وقد عُدَّت السورة الأربعين في نزول السور**، نزلت بعد الأعراف وقبل يس.

**واتفق أهل العدد على عد آيها ثمانياً وعشرين.** ٢٩/٢١٦-٢١٧

٢- **أغراضها:** إثباتُ كرامةٍ للنبيﷺ بأنَّ دعوتَه بلغت إلى جنس الجن وإفهامهم فَهْمَ معانٍ من القرآن الذي استمعوا للنبيﷺ وفهمَ ما يدعو إليه من التوحيد والهدى، وعلمهم بعظمة الله، وتنزيهه عن الشريك، والصاحبة، والولد.

وإبطالُ عبادةِ ما يُعْبَدُ من الجن، وإبطالُ الكهانة وبلوغِ علم الغيب إلى غير الرسل الذين يُطْلِعُهم اللهُ على ما يشاء.

وإثباتُ أنَّ لله خلقاً يُدْعَون الجنَّ، وأنهم أصنافٌ منهم الصالحون ومنهم دون ذلك بمراتب، وتضليلُ الذين يتقوَّلون على الله ما لم يَقُلْه، والذين يعبدون الجن، والذين ينكرون البعثَ، وأن الجنَّ لا يُفْلِتُون من سلطان الله -تعالى-.

وتَعَجُّبهم من الإصابة برجوم الشهب المانعة من استراق السمع، وفي المراد من هذا المنعِ، والتخلصُ من ذلك إلى ما أوحى الله إلى رسولهﷺ في شأن[1] القحط الذي أصاب المشركين؛ لشركهم ولمنعهم مساجدَ الله، وإنذارِهم بأنهم سيندمون على تألُّبِهم على النبيﷺ ومحاولتِهم منه العدولَ عن الطعنِ في دينهم. ٢٩/٢١٧

٣- **ولعل كيفية حدوث رجم الجن بالشهب** كان بطريقة تصريف الوحي إلى الملائكة في مجارٍ تمر على مواقع انقضاض الشهب حتى إذا اتصلت قوى الوحي بموقع أحد الشهب انفصل الشهاب بقوة ما يَغُطُّه من الوحي؛ فسقط مع مجرى الوحي؛ لِيحرسه من اقتراب المسترق حتى يبلغ إلى الملك المُوحى إليه، فلا يجد في طريقه قوة شيطانية أو جنية إلا أحرقها؛ وبخَّرها، فهلكت أو استطيرت، وبذلك بَطَلَت الكهانة، وكان ذلك من خصائص الرسالة المحمدية. ٢٩/٢٣٠

---

١- في الأصل: «من في شأن ...» ولعل الصواب: ما أُثبت. (م)

# سورة المزمل

١ ـ **ليس لهذه السورة إلا اسم** (سورة المزمل) عرفت بالإضافة لهذا اللفظ الواقع في أولها، فيجوز أن يراد حكاية اللفظ، ويجوز أن يراد به النبي ﷺ موصوفاً بالحال الذي نودي به في قوله ـتعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾.

قال ابن عطية: هي في **قول الجمهور مكية** إلا قوله ـتعالى ـ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ﴾ إلى نهاية السورة؛ **فذلك مدني**، وحكى القرطبي مثل هذا عن الثعلبي.

وقال في الإتقان: إن استثناء قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ﴾ إلى آخر السورة يَرُدُّه ما أخرجه الحاكم عن عائشة: «نزل بعد نزول صدر السورة بسنة، وذلك حين فرض قيام الليل في أول الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس» اهـ.

يعني وذلك كلُّه بمكة، أي فتكون السورة كلها مكية؛ فتعيَّن أن قوله: ﴿ قُمِ اللَّيْلَ ﴾ أُمِرَ به في مكة.

والروايات تظاهرت على أن قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ﴾ إلى آخر السورة نزل مفصولاً عن نزول ما قبله بمدة مُخْتَلَفٌ في قدرها، فقالت عائشة: «نزل بعد صدر السورة بسنة».

ومثله روى الطبري عن ابن عباس.

وقال الجمهور: نزل صدر السورة بمكة، ونزل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ ﴾ إلى آخرها بالمدينة، أي بعد نزول أولها بسنين.

فالظاهر أن الأصح أن نزول: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ ﴾ إلى آخر السورة نزل بالمدينة لقوله-تعالى-: ﴿ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ إن لم يكن ذلك إنباء بمغيب على وجه المعجزة.

وروى الطبري عن سعيد بن جبير قال: «لما أنزل الله على نبيه ﷺ يا أيها المزمل مكث النبي ﷺ على هذا الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه، فأنزل الله بعد عشر سنين: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ﴾ إلى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ » اهـ.

أي نزلت الآيات الأخيرة في المدينة؛ بناءً على أن مقام النبي ﷺ بمكة كان عشر سنين وهو قول جمٍّ غفير.

والروايات عن عائشة مضطربة بعضُها يقتضي أن السورة كلَّها مكيةٌ، وأن صدرها نزل قبل آخرها بسنة قبل فرض الصلاة، وهو ما رواه الحاكم في نقل صاحب الإتقان، وذلك يقتضي أن أول السورة نزل بمكة.

**وبعض الروايات يقول فيها**: إنها كانت تَفْرِشُ لرسول الله ﷺ حصيراً، فصلى عليه من الليل، فتسامع الناس، فاجتمعوا، فخرج مغضباً، وخشي أن يكتب عليهم قيام الليل، ونزل: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.

فكتبت عليهم بمنزلة الفريضة، ومكثوا على ذلك ثمانية أشهر، ثم وضع الله ذلك عنهم؛ فأنزل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ﴾ إلى: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ فردهم إلى الفريضة، ووضع عنهم النافلة.

وهذا ما رواه الطبري بسندين إلى أبي سلمة بن عبدالرحمن عن عائشة.

وهو يقتضي أن السورة كلَّها مدنية؛ لأن النبي ﷺ لم يَبْنِ بعائشة إلا في المدينة،

ولأن قولها: «فخرج مغضباً» يقتضي أنه خرج من بيته المفضي إلى مسجده، ويؤيده أخبار تُثبت قيام الليل في مسجده.

ولعل سببَ هذا الاضطرابِ اختلاطٌ في الرواية بين فرض قيام الليل وبين الترغيب فيه.

ونسب القرطبي إلى تفسير الثعلبي قال: قال النخعي في قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾: «كان النبيﷺ متزملاً بقطيفة عائشة، وهي مرطٌ نِصْفُه عليها وهي نائمة، ونصفه على النبيﷺ وهو يصلي» اهـ.

وإنما بنى النبيﷺ بعائشة في المدينة، فالذي نعتمد عليه أن أول السورة نزل بمكة لا محالة كما سنبينه عند قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ وأن قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ إلى آخر السورة نزل بالمدينة بعد سنين من نزول أول السورة؛ لأن فيه ناسخاً لوجوب قيام الليل، وأنه ناسخ لوجوب قيام الليل على النبيﷺ وأن ما رووه عن عائشة أن أول ما فرض قيام الليل قبل فرض الصلاة غريب.

وحكى القرطبي عن الماوردي: أن ابن عباس وقتادة قالا: إن آيتين وهما ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ نزلتا بالمدينة.

**واختلف في عد هذه السورة في ترتيب نزول السور**، والأصح التي تضافرت عليه الأخبار الصحيحة: أن أول ما نزل سورة العلق، واختلف فيما نزل بعد سورة العلق، فقيل: سورة ن والقلم، وقيل: نزل بعد العلق سورة المدثر.

ويظهر أنه الأرجح، ثم قيل: نزلت سورة المزمل بعد القلم، فتكون ثالثة.

وهذا قول جابر بن زيد في تعداد نزول السور، وعلى القول بأن المدثر هي

الثانية، يحتمل أن تكون القلم ثالثة، والمزمل رابعة، ويحتمل أن تكون المزمل هي الثالثة، والقلم رابعة، والجمهور على أن المدثر نزلت قبل المزمل، وهو ظاهر حديث عروة بن الزبير عن عائشة في بدء الوحي من صحيح البخاري، وسيأتي عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾.

والأصح أن سبب نزول: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ ما في حديث جابر بن عبدالله الآتي عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ الآية.

وعُدَّت آيُها في عد أهل المدينة ثمان عشرة آية، وفي عد أهل البصرة تسع عشرة، وفي عد من عداهم عشرون. ٢٩/٢٥٣ـ٢٥٤

٢ـ **أغراضُها**: الإشعارُ بملاطفة الله ـ تعالى ـ رسولَه ﷺ بندائه بوصفه بصفة تزمُّلِه.

واشتملت على الأمرِ بقيام النبي ﷺ غالبَ الليل، والثناءِ على طائفة من المؤمنين حملوا أنفسهم على قيام الليل.

وعلى تثبيت النبي ﷺ بتحَمُّل إبلاغ الوحي.

والأمرُ بإدامةِ إقامة الصلاة، وأداءِ الزكاة، وإعطاءِ الصدقات.

وأمرُه بالتَّمَحُّضِ للقيام بما أمره اللهُ من التبليغِ، وبأن يتوكل عليه.

وأمرُه بالإعراضِ عن تكذيب المشركين.

وتَكَفُّلُ اللهِ له بالنصر عليهم، وأن جزاءَهم بيد الله.

والوعيدُ لهم بعذاب الآخرة.

ووعظُهم مما حل بقوم فرعونَ لما كذبوا رسول الله إليهم.

وذِكْرُ يوم القيامة، ووَصْفُ أهواله.

ونسخُ قيَام معظم الليل بالاكتفاء بقيام بعضه؛ رعياً للأعذار الملازمة.

والوعدُ بالجزاءِ العظيم على أفعال الخيرات، والمبادرةُ بالتوبة، وأدمج في ذلك أدبُ قراءةِ القرآنِ وتدبره.

وأن أعمالَ النهارِ لا يغني عنها قيامُ الليل.

وفي هذه السورة مواضعُ عويصةٌ، وأساليبُ غامضةٌ؛ فعليك بتدبرها. ٢٩/٢٥٤ـ٢٥٥

٣ـ وقال: في قوله ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ وهو عود إلى الترغيب في أن تكون مدة القيام أكثر من نصف الليل؛ ولذلك لم يقيد ﴿زِدْ عَلَيْهِ﴾ بمثل ما قيد به ﴿أَوْ انْقُصْ مِنْهُ﴾ لتكون الزيادة على النصف متسعة، وقد ورد في الحديث أن النبيﷺ أخذ بالعزيمة، فقام حتى تورمت قدماه، وقيل له في ذلك: «إن الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر» فقال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**». ٢٩/٢٥٩

٤ـ **وتخصيص الليل بالصلاة فيه؛** لأنه وقت النوم عادة؛ فأمر الرسولﷺ بالقيام فيه زيادة في إشغال أوقاته بالإقبال على مناجاة الله، ولأن الليل وقتُ سكونِ الأصوات، وإشتغال الناس؛ فتكون نفس القائم فيه أقوى استعداداً؛ لتلقي الفيض الرباني. ٢٩/٢٥٩ـ٢٦٠

٥ـ **ووصفُ الصلاة بالناشئة؛** لأنها أنشأها المصلي؛ فنشأت بعد هدأة الليل؛ فأشبهت السحابة التي تتنشأ من الأفق بعد صحو.

وإذا كانت الصلاة بعد نوم فمعنى النشء فيها أقوى، ولذلك فسرتها عائشة بالقيام بعد النوم، وفسر ابن عباس ﴿نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ بصلاة الليل كلها، واختاره مالك، وعن علي بن الحسين: أنها ما بين المغرب والعشاء، وعن ابن مسعود

وابن عباس وسعيد بن جبير: أن أصل هذا مُعَرَّب عن الحبشة، وقد عدها السبكي في منظومته في معربات القرآن.

وإيثار لفظ ناشئة في هذه الآية دون غيره من نحو: قيام، أو تهجد ـ لأجل ما يحتمله من هذه المعاني؛ ليأخذ الناس فيه بالاجتهاد. ٢٩/٢٦٢

٦ـ **ومن أكبر التبتل إلى الله الانقطاع عن الإشراك**، وهو معنى الحنيفية، ولذلك عقب قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ بقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾.

**وخلاصة المعنى**: أن النبيﷺ مأمور أن لا تخلو أوقاتُه عن إقبال على عبادة الله ومراقبته، والانقطاع للدعوة لدين الحق، وإذ قد كان النبيﷺ من قبل غير غافل عن هذا الانقطاع بإرشاد من الله كما ألهمه التحنثَ في غار حراء، ثم بما أفاضه عليه من الوحي والرسالة ـ فالأمر في قوله: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾ مرادٌ به الدوام على ذلك؛ فإنه قد كان يذكر الله فيما قبل؛ فإن في سورة القلم ـوقد نزلت قبل المزملـ: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ على أن القرآن الذي أنزل أولاً أكثره إرشاد للنبيﷺ إلى طرائق دعوة الرسالة؛ فلذلك كان غالب ما في هذه السور الأُول منه مقتصراً على سن التكاليف الخاصة بالرسولﷺ. ٢٩/٢٦٦

٧ـ **والهجر الجميل**: هو الحسن في نوعه؛ فإن الأحوال والمعاني منها حسن، ومنها قبيح في نوعه، وقد يقال: كريم، وذميم، وخالص، وكدر، ويعرض الوصف للنوع بما من شأنه أن يقترن به من عوارض تناسب حقيقة النوع، فإذا جُرِّدَتِ الحقيقة عن الأعراض التي قد تعتلق بها كان نوعها خالصاً، وإذا ألصق

بالحقيقة ما ليس من خصائصها كان النوع مكدراً قبيحاً، وقد أشار إلى هذا قوله -تعالى-: ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾.

وتقدم عند قوله -تعالى-: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ في سورة النمل، ومن هذا المعنى قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ في سورة يوسف، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾ في سورة المعارج.

**فالهجر الجميل**: هو الذي يقتصر صاحبه على حقيقة الهجر، وهو ترك المخالطة؛ فلا يقرنها بجفاءٍ آخرَ أو أذىً.

**ولما كان الهجر ينشأ عن بغض المهجور، أو كراهية أعماله** - كان معرضاً لأن يتعلق به أذىً من سبٍّ أو ضرب أو نحو ذلك؛ فأمر الله رسولَه بهجر المشركين هجراً جميلاً، أي أن يهجرهم ولا يزيد على هجرهم سباً أو انتقاماً.

**وهذا الهجر**: هو إمساك النبي ﷺ عن مكافاتهم بمثل ما يقولونه مما أشار إليه قوله -تعالى-: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾.

وليس منسحباً على الدعوة للدين؛ فإنها مستمرة، ولكنها تبليغ عن الله -تعالى- فلا ينسب إلى النبي ﷺ.

وقد انتزع فخر الدين من هذه الآية منزعاً خُلُقياً بأن الله جمع ما يحتاج إليه الإنسان في مخالطة الناس في هاتين الكلمتين؛ لأن المرء إما أن يكون مخالطاً؛ فلا بد له من الصبر على أذاهم وإيحاشهم؛ لأنه إن أطمع نفسه بالراحة معهم لم يجدها مستمرة، فيقع في الغموم إن لم يَرُضْ نَفْسَهُ بالصبر على أذاهم، وإن ترك المخالطة فذلك هو الهجر الجميل. ٢٩/٢٦٨-٢٦٩

٨- **والنَّعمة**: هنا بفتح النون باتفاق القراء، وهي اسم للتَّرَفُّه، وجَمْعُها أَنْعُم

بفتح الهمزة وضم العين.

**وأما النِّعمة** بكسر النون فاسم للحالة الملائمة لرغبة الإنسان من عافية، وأمن ورزق، ونحو ذلك من الرغائب.

وجَمْعها: نِعَمٌ بكسر النون وفتح العين، وتجمع جمع سلامة على نِعَمات بكسر النون وبفتح العين لجمهور العرب، وتكسر العين في لغة أهل الحجاز كسرة إتباع.

**والنُّعمة بضم النون اسم للمسرة؛** فيجوز أن تجمع على نُعْم على أنه اسم جمع، ويجوز أن تجمع على نُعَم بضم ففتح مثل: غرفة وغرف، وهو مطرد في الوزن.

وجعلهم ذوي النعمة المفتوحة النون للإشارة إلى أنه قصارى حظهم في هذه الحياة هي النعمة، أي الانطلاق في العيش بلا ضيق، والاستظلال بالبيوت والجنات، والإقبال على لذيذ الطعوم ولذائذ الانبساط إلى النساء والخمر والميسر، وهم معرضون عن كمالات النفس، ولذة الاهتداء والمعرفة، قال ـتعالى ـ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ وتعريف ﴿النَّعْمَةِ﴾ للعهد. ٢٩/٢٧٠

٩ـ **وهذه الآية اقتضت رفع وجوب قيام الليل عن المسلمين** إن كان قد وجب عليهم من قبل على أحد الاحتمالين، أو بيان لم يوجب عليهم وكانوا قد التزموه؛ فبين لهم أن ما التزموه من التأسي بالنبي ﷺ في ذلك غير لازم لهم، وعلل عدم وجوبه عليهم بأن الأمة يكثر فيها أصحاب الأعذار التي يشق معها قيام الليل؛ فلم يجعله الله واجباً عليهم أو رفع وجوبه.

ولولا اعتبارُ المظنةِ العامة لأبقي حكمُ القيامِ، ورخُّص لأصحاب العذر في مدة العذر فقط، فتبين أن هذا تعليل الحكم الشرعي بالمظنة والحكم هنا عدمي، أي عدم الإيجاب؛ فهو نظيرُ قصرِ الصلاة في السفر على قول عائشة أم المؤمنين: «إن الصلاةَ فرضت ركعتين ثم زِيْدَ في ثلاث من الصلوات في الحضر، وأبقيت صلاة السفر».

وعلةُ بقاءِ الركعتين هو مظنةُ المشقةِ في السفر.

وأوجب الترخصَ في قيام الليل أنه لم يكن ركناً من أركان الإسلام؛ فلم تكن المصلحة الدينية قوية فيه.

**وأما حكم القيام** فهو ما دل عليه قوله: ﴿قُمْ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ وما دلت عليه أدلة التحريض عليه من السنة.

وقد مضى ذلك كله؛ فهذه الآية صالحة لأن تكون أصلاً للتعليل بالمظنة، وصالحة لأن تكون أصلاً تقاس عليه الرخص العامة التي تراعى فيها مشقة غالب الأمة مثل رخصة بيع السَّلم دون الأحوال الفردية والجزئية. ٢٩/٢٨٦-٢٨٧

# سورة المدثر

١ ـ **تسمى في كتب التفسير (سورة المدثر)** وكذلك سميت في المصاحف التي رأيناها ومنها كتب في القيروان في القرن الخامس.

وأريد بالمدثر النبي ﷺ موصوفاً بالحالة التي نُودي بها، كما سميت بعض السور بأسماء الأنبياء الذين ذُكروا فيها.

وإما تسمية باللفظ الذي وقع فيها، ونظيره ما تقدم في تسمية «سورة المزمل»، ومثله ما تقدم في (سورة المجادلة) من احتمال فتح الدال أو كسرها.

**وهي مكية** حكى الاتفاق على ذلك ابن عطية والقرطبي، ولم يذكرها في الإتقان في السور التي بعضها مدني.

وذكر الآلوسي أن صاحب التحرير (محمد بن النقيب المقدسي المتوفى سنة ٦٩٨ له تفسير) ذكر قول مقاتل أو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً﴾ الخ نزل بالمدينة اهـ.

ولم نقف على سنده في ذلك، ولا رأينا ذلك لغيره وسيأتي.

**قيل: إنها ثانية السور نزولاً**، وإنها لم ينزل قبلها إلا سورة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وهو الذي جاء في حديث عائشة في الصحيحين في صفة بدأ الوحي: «أن النبي ﷺ جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم قالت: ثم فتر الوحي».

فلم تذكر نزول وحي بعد آيات: ﴿اقرأ باسم ربك﴾.

وكذلك حديث جابر بن عبدالله من رواية أبي سلمة بن عبدالرحمن من طرق

كثيرة وبألفاظ يزيد بعضها على بعض.

وحاصل ما يجتمع من طرقه: قال جابر بن عبدالله وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «**إن النبي ﷺ قال: فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئت منه رَعِباً، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني فدثروني**».

زاد غير ابن شهاب من روايته: «**وصبوا علي ماءً بارداً فدثروني وصَبوا علي ماءً بارداً**».

قال النووي: «صب الماء لتسكين الفزع؛ فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ إلى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ثم حمي الوحي وتتابع» اهـ.

ووقع في صحيح مسلم عن جابر: «أنها أول القرآن سورة المدثر».

وهو الذي يقول في حديثه أن رسول الله يحدث عن فترة الوحي، وإنما تقع الفترة بين شيئين؛ فتقتضي وحياً نزل قبل سورة المدثر، وهو ما بُيِّن في حديث عائشة.

وقد تقدم في صدر سورة المزمل قول جابر بن زيد: أن سورة القلم نزلت بعد سورة العلق، وأن سورة المزمل ثالثة، وأن سورة المدثر رابعة.

وقال جابر بن زيد: «نزلت بعد المدثر سورة الفاتحة».

ولا شك أن سورة المدثر نزلت قبل المزمل، وأن عناد المشركين كان قد تزايد بعد نزول سورة المدثر، فكان التعرض لهم في سورة المزمل أوسع.

وقد وقع في حديث جابر بن عبدالله في صحيح البخاري، وجامع الترمذي من

طريق ابن شهاب أن نزول هذه السورة كان قبل أن تفرض الصلاة.

والصلاة فرضت بعد فترة الوحي سواء كانت خمساً أو أقل، وسواء كانت واجبة ـ كما هو ظاهر قولهم: فرضت ـ أم كانت مفروضة بمعنى مشروعة.

**وفترة الوحي** مختلف في مدتها اختلافاً كثيراً فقيل كانت سنتين ونصفاً، وقيل: أربعين يوماً، وقيل: خمسة عشر يوماً، والأصح أنها كانت أربعين يوماً؛ فيظهر أن المدثر نزلت في السنة الأولى من البعثة، وأن الصلاة فرضت عقب ذلك كما يُشْعِرُ به ترتيبُ ابنِ إسحاق في سوق حوادث سيرته.

**وعدَّ أهل المدينة في عدهم** الأخير الذي أرسوا عليه وأهل الشام آيها خمساً وخمسين، وعدَّها أهل البصرة والكوفة وأهل المدينة في عدهم الأول الذي رجعوا عنه ستاً وخمسين. ٢٩/٢٩١ـ٢٩٣

٢ـ **أغراضها:** جاء فيها من الأغراض تكريمُ النبيﷺ والأمرُ بإبلاغ دعوة الرسالة، وإعلانُ وحدانيةِ الله بالإلهية، والأمرُ بالتطهر الحسيِّ والمعنوي، ونبذِ الأصنامِ، والإكثارِ من الصدقات، والأمرُ بالصبرِ، وإنذارُ المشركين بهول البعث، وتهديدُ مَنْ تصدى للطعن في القرآن، وزَعَم أنه قول البشر، وكُفْرُ الطاعنِ نعمةَ اللهِ عليه؛ فأقدم على الطعن في آياته مع عِلْمِهِ بأنها حقٌّ.

ووصُف أهوالِ جهنمَ، والردُّ على المشركين الذين استخفوا بها، وزعموا قلةَ عَددِ حَفَظَتِها، وتحدي أهلِ الكتاب بأنهم جهلوا عَدَدَ حفظتِها، وتأييسُهُمْ من التخلص من العذاب، وتمثيلُ ضلالهم في الدنيا، ومقابلةُ حالهم بحال المؤمنين أهل الصلاة والزكاة والتصديق بيوم الجزاء. ٢٩/٢٩٣

# سورة القيامة

١ـ **عنونت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة بـ(سورة القيامة)** لوقوع القسم بيوم القيامة في أولها، ولم يقسم به فيما نزل قبلها من السور.

وقال الآلوسي: يقال لها: (سورة لا أقسم) ولم يذكرها صاحب الإتقان في عداد السور ذات أكثر من اسم.

**وهي مكية بالاتفاق.**

**وعدت الحاديةَ والثلاثين** في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة القارعة، وقبل سورة الهمزة.

**وعدد آيها** عند أهل العدد من معظم الأمصار تسعاً وثلاثين آية، وعدها أهل الكوفة أربعين. ٣٣٦/٢٩

٢ـ **أغراضها**: اشتملت على إثباتِ البعثِ، والتذكيرِ بيوم القيامة وذكرِ أشراطه، وإثباتِ الجزاء على الأعمالِ التي عملها الناس في الدنيا، واختلافِ أحوال أهل السعادة وأهل الشقاء وتكريم أهل السعادة، والتذكيرِ بالموت وأنه أولُ مراحلِ الآخرةِ، والزجرِ عن إيثار منافعِ الحياةِ العاجلةِ على ما أعدَّ لأهل الخير من نعيم الآخرة.

وفي تفسيرِ ابنِ عطيةَ عن عمرَ بنِ الخطابِ ولم يسنده: أنه قال: «من سأل عن القيامة، أو أراد أن يعرف حقيقة وقوعها فليقرأ هذه السورة».

وأُدمج فيها آيات ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ إلى ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ لأنها نزلت في أثناء نزول هذه السورة. ٣٣٧/٢٩

# سورة الإنسان

**١ـ سميت في زمن أصحاب رسول الله ﷺ «سورة هل أتى على الإنسان».**

روى البخاري في باب القراءة في الفجر من صحيحه عن أبي هريرة قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر بـ (ألم السجدة) و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ﴾».

واقتصر صاحب الإتقان على تسمية هذه السورة (سورة الإنسان) عند ذكر السور المكية والمدنية، ولم يذكرها في عداد السور التي لها أكثر من اسم.

وتسمى (سورة الدهر) في كثير من المصَاحف.

وقال الخفاجي: تسمى (سورة الأمشاج) لوقوع لفظ الأمشاج فيها، ولم يقع في غيرها من القرآن.

وذكر الطبرسي: أنها تسمى (سورة الأبرار) لأن فيها ذكر نعيم الأبرار، وذكرهم بهذا اللفظ ولم أره لتغيره[١].

**فهذه خمسة أسماء لهذه السورة.**

واختلف فيها فقيل هي مكية، وقيل مدنية، وقيل بعضها مكي وبعضها مدني. ٢٩/٣٦٩ـ٣٧٠

**٢ـ واتفق العادون على عد آيها إحدى وثلاثين.** ٢٩/٣٧٠

**٣ـ أغراضها:** التذكيرُ بأن كل إنسان كُوِّن بعد أن لم يكن، فكيف يَقْضي باستحالة إعادة تكوينه بعد عدمه.

وإثباتُ أن الإنسان محقوقٌ بإفراد الله بالعبادة؛ شكراً لخالقه؛ ومُحَذَّرٌ من

---

١ـ هكذا في الأصل، والصواب: لغيره. (م)

الإشراك به.

وإثباتُ الجزاء على الحالين مع شيء من وصف ذلك الجزاء بحالتيه والإطناب في وصف جزاء الشاكرين.

وأُدمج في خلال ذلك الامتنانُ على الناس بنعمة الإيجاد ونعمة الإدراك، والامتنانُ بما أعطيه الإنسان من التمييز بين الخير والشر، وإرشاده إلى الخير بواسطة الرسل؛ فمن الناس من شكر نعمة الله ومنهم من كفرها، فعبد غيره.

وتثبيتُ النبي ﷺ على القيام بأعباء الرسالة، والصبر على ما يلحقه في ذلك، والتحذير من أن يلين للكافرين، والإشارة إلى أن الاصطفاء للرسالة نعمة عظيمة يستحق الله الشكر عليها بالاضطلاع بها[1] اصطفاه له، وبالإقبال على عبادته.

والأمر بالإقبال على ذكر الله والصلاة في أوقات من النهار. ٣٧١/٢٩

٤ـ والكأس: بالهمز الإناء المجعول للخمر؛ فلا يسمى كأساً إلا إذا كان فيه خمر، وقد تسمى الخمر كأساً على وجه المجاز المرسل بهذا الاعتبار. ٣٨٠/٢٩

٥ـ **والمزاج**: بكسر الميم ما يمزج به غيره، أي يُخْلَط، وكانوا يمزجون الخمر بالماء إذا كانت الخمر مُعَتَّقة شديدة؛ ليخففوا من حدتها، وقد ورد ذكر مزج الخمر في أشعار العرب كثيراً. ٣٨٠/٢٩

٦ـ **والكافور**: زيت يستخرج من شجرة تشبه الدِّفْلَى تنبت في بلاد الصين وجاوة، يتكون فيها إذا طالت مدتها نحواً من مائتي سنة فيُغلَّى حطبها، ويستخرج منه زيت يسمى الكافور، وهو ثَخِنٌ قد يتصلب، فيصير كالزُّبْد، وإذا يقع حطب شجرة الكافور في الماء صار نبيذاً يتخمر؛ فيصير مُسْكِراً.

---

١ـكأن في الكلام سِقطاً، ولعل صوابه: «من اصطفاه ...». (م)

والكافور أبيض اللون، ذكي الرائحة، منعش. ٣٨٠/٢٩

٧ـ **وزنجبيل**: كلمة معربة، وأصلها بالكاف الأعجمية عوض الجيم، قال الجواليقي والثعالبي: هي فارسية، وهو اسم لجذور مثل جذور السُّعْد بضم السين وسكون العين تكون في الأرض، كالجزر الدقيق، واللفت الدقيق لونها إلى البياض لها نبات له زهر، وهي ذات رائحة عطرية طيبة، وطعمها شبيه بطعم الفُلفل، وهو ينبت ببلادِ الصين والسند وعمان والشحر، وهو أصناف أحسنها ما ينبت ببلاد الصين، ويدخل في الأدوية والطبخ كالأفاويه، ورائحته بهارية، وطعمه حريف، وهو مُنَبِّه، ويستعمل منقوعاً في الماء، ومُرَبَّىً بالسُّكَّر.

وقد عرفه العرب، وذكره شعراء العرب في طيب الرائحة.

أي يمزجون الخمر بالماء المنقوع فيه الزنجبيل؛ لطيب رائحته وحسن طعمه. ٣٩٥/٢٩

# سورة المرسلات

١ـ لم ترد لها تسمية صريحة عن النبي ﷺ بأن يضاف لفظ سورة إلى جملتها الأولى.

وسميت في عهد الصحابة سورة ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً﴾ ففي حديث عبدالله ابن مسعود في الصحيحين: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه سورة والمرسلات عُرفاً؛ فإنه ليتلوها، وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ خرجت علينا حية» الحديث.

وفي الصحيح عن ابن عباس قال: «قرأت سورة والمرسلات عرفاً، فسمعتني أم الفضل ـامرأة العباسـ فبكت وقالت: بُنَيّ أذكرتني بقرائتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها في صلاة المغرب».

وسميت (سورة المرسلات) روى أبو داود عن ابن مسعود: «كان النبي ﷺ يقرأ النظائر السورتين في ركعة الرحمن والنجم في ركعة، واقتربت والحاقة في ركعة».

ثم قال: «وعم يتساءلون، والمرسلات في ركعة».

فجعل هذه الألفاظ بدلاً من قوله السورتين، وسماها المرسلات بدون واو القسم؛ لأن الواو التي في كلامه واو العطف مثل أخواتها في كلامه.

واشتهرت في المصاحف باسم (المرسلات) وكذلك في التفاسير وفي صحيح البخاري.

وذكر الخفاجي، وسعد الله الشهير بسعدي في حاشيتيهما على البيضاوي أنها

تسمى (سورة العُرْف).

ولم يسنداه، ولم يذكرها صاحب الإتقان في عداد السور ذات أكثر من اسم.

وفي الإتقان عن كتاب ابن الضريس عن ابن عباس في عدّ السور التي نزلت بمكة، فذكرها باسم (المرسلات).

وفيه عن دلائل النبوة للبيهقي عن عكرمة والحسن في عدّ السور التي نزلت بمكة، فذكرها باسم (المرسلات).

**وهي مكية** عند جمهور المفسرين من السلف، وذلك ظاهر حديث ابن مسعود المذكور آنفاً، وهو يقتضي أنها من أوائل سور القرآن نزولاً؛ لأنها نزلت والنبيﷺ مختفٍ في غارٍ بمنى مع بعض أصحابه.

وعن ابن عباس وقتادة: أن آية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ﴾ مدنية نزلت في المنافقين، ومحمل ذلك أنه تأويل ممن رواه عنه نظراً إلى أن الكفار الصرحاء لا يؤمرون بالصلاة، وليس في ذلك حجة؛ لكون الآية مدنية؛ فإن الضمير في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ وارد على طريقة الضمائر قبله، وكلها عائدة إلى الكفار وهم المشركون.

ومعنى: ﴿قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا﴾: كناية عن أن يقال لهم أسلموا، ونظيره قوله ـتعالىـ: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ فهي في المشركين وقوله: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾.

وعن مقاتل نزلت: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ﴾ في شأن وفد ثقيف حين أسلموا بعد غزوة هوازن وأتوا المدينة، فأمرهم النبيﷺ بالصلاة فقالوا: لا نُجَبِّي؛ فإنها مسبة علينا، فقال لهم: لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود.

وهذا -أيضاً- أضعف، وإذا صح ذلك؛ فإنما أراد مقاتل أن النبيﷺ قرأ عليهم الآية.

**وهي السورة الثالثة والثلاثون** في عداد ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد.

**واتفق العادون على عد آيها خمسين.** ٢٩/٤١٧-٤١٩

٢- **أغراضها**: اشتملت على الاستدلال على وقوع البعث عَقِبَ فناء الدنيا، ووصفِ بعضِ أشراط ذلك، والاستدلالِ على إمكان إعادة الخلق بما سبق من خلق الإنسان وخلق الأرض، ووعيدِ منكريه بعذاب الآخرة، ووصفِ أهواله، والتعريضِ بعذابٍ لهم في الدنيا كما استُؤصلت أممٌ مكذِّبةٌ مِنْ قَبْلُ، ومقابلة ذلك بجزاء الكرامة للمؤمنين، وإعادةِ الدعوة إلى الإسلام والتصديقِ بالقرآن لظهور دلائله. ٢٩/٤١٩